مفهوم النهضة والإصلاح عند عبد الرحمن الكواكبي

م. د. عبد السلام متعب عيدان الربيعي (*)

المستخلص:

يتناول البحث أفكار واراء الإصلاحي الكبير عبد الرحمن أحمد بهائي محمد مسعود الكواكبي (١٢٧١هـ/١٨٥٥–١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) أحد رواد النهضة العربية ومفكريها في القرن التاسع عشر، وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي، اشتهر بكتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، الذي يعد من أهم الكتب العربية في القرن التاسع عشر التي تناقش ظاهرة الاستبداد السياسي، ويستعرض البحث برؤية جديدة جملة من اهم ما طرحه الكواكبي من أفكار واصلاحات عادت على الامة الإسلامية والعربية بمردودات إيجابية ساعدتهم في النهضة وتحقيق الاستقلال الذاتي والتام مستقبلا.

مقدمة:

برز العديد من المفكرين والاصلاحيين في المنطقة العربية، والعالم الإسلامي أبان ما عرف بعصر النهضة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت لهم اسهاماتهم الفكرية والاصلاحية للنهوض بالمجتمعات العربية والإسلامية والتخلص من الواقع البائس الذي عاشت فيه لقرون طويلة، وتعددت مشارب هؤلاء المفكرين وتوجهاتهم؛ فمنهم من وجد العلمانية ملاذاً يقضى إلى الإصلاح والنهوض، ومنهم من دعا إلى التمسك بالدين والقيم الإسلامية كطريق مأمون لإعادة الركب الحضاري كما كان في العصور الإسلامية الزاهرة.

وهذا البحث المعنون (**مفهوم النهضة والإصلاح عند عبد الرحمن الكواكبي**) يلتمس التعرف على أحد رواد الفكر الإصلاحي الإسلامي بتتبع نشاطه وفكره من خلال نظرته، الى الدين، وموقفه من نظام الحكم والدعوة الى الخلافة، ونظرته الى التربية والتعليم؛ ثم موقفه من المرأة ومكانتها الاجتماعية وآراؤه في العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة، وسبل التغيير كما يراها.

(*) الجامعة المستنصرية/ كلية التربية.

واعتمد البحث على عدد من المصادر التي درست حياة مفكرنا وأفكاره، فضلاً عن المتيسر من كتاباته، للخروج بحصيلة وافية تلم بآرائه ومواقفه وتعطي صورة شاملة ومركزة لهذا المفكر الإصلاحي الكبير الإصلاحيون الإسلاميون ومتغيرات العصر في القرن التاسع عشراصبح الإسلام الرسمي في أواخر العهد العثماني في حالة من التدهور افضى به الى الانعزال والخضوع، الامر الذي جعله يوظف جهوده ودوره لتبرير السياسة الاستبدادية للحكم العثماني، ويحارب بكل وسيلة التوجيهات الإصلاحية ويوصمها بشتى النعوت والاوصاف؛ وهذا ما دفع الإصلاحيين الإسلاميين الى ان يصبحوا ثواراً فكريين؛ فهم دافعوا عن الحكم الدستوري وسط الاعتراف بالسلطة القائمة مهما كانت، ودعوا الى المعرفة في مجتمع كانت مؤسساته الدينية تحذر الناس من ان الشيطان يروج لمزايا المعرفة لكي يؤثر عليهم؛ لقد بشروا بالعدل الاجتماعي والنضال السياسي في مجتمع كان يلقن باستمرار ان الإسلام يدعوا الى الفقر والعزوف عن الحياة[١].

لقد اتسمت حركة النهضة والإصلاح بجملة صفات أو مسميات أبرزها، العقلانية، والنزعة التحررية في مواجهة النظام الاستبدادي الفردي، ورفض الكهانة ومانجم عنها من تراكم قيم وأفكار وطقوس غريبة عن أصول الإسلام الجوهرية وتعاليمه فضلاً عن نقد النظام الطبقي المتوارث متمثلاً بالارستقراطية التركية[٢].

وعلية يمكن القول بأن "المصلحين كانوا، من جهة، مفكرين حديين تحدوا الأفكار الإسلامية السائدة. ومع ذلك فأنهم، من ناحية أخرى، كانوا جزءاً من الإطار العام للاسلام وتسامحه، وبعبارة أخرى، انهم رفضوا كلاً من السلفية اللامنطقية، وكذلك التقليد الاعمى للغرب؛ ولقد أحيوا بعض القيم الإسلامية التي كانت ضرورية جداً للحياة في العالم الحديث، مثل الفاعلية، واستخدام العقل البشري بمزيد من الحرية والسعي الى تحقيق القوة السياسية والعسكرية، وعن طريق البحث عن هذه القيم في التقاليد الإسلامية بدلاً من الاستعارة المباشرة من الغرب، فقد استطاع المصلحون:

أولاً: التأثير على المسلمين المؤمنين بشكل لم يتيسر لاولئك الذين اعتنقوا الأفكار الغربية مباشرة.

ثانياً: جعل الأفكار الغربية الجديدة ذات الضروة الحيوية أكثر قبولاً.

ثالثاً: رأب الصدع بين المسلمين أنفسهم وخلق إمكانيات للحوار المنتج بين الفرق المختلفة"[٣].

ويطرح الكاتب صادق جلال العظم سؤالاً هو: هل يتوافق الإسلام مع النموذج العلماني الحديث؟ ويقول ان هذا السؤال مطروح على جدول اعمال التاريخ والفكر العربي والإسلامي من الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأن هذا السؤال اتخذ صيغاً وتعابيراً وسبلاً شتى، ويؤكد "أن الربع الأخير من القرن التاسع عشر، شهد بداية حركة عظيمة للأصلاح الليبراليه (الحر)

والتأويل الديني المتحرر للحياة والفكر العربي، وهي حركة نطلق عليها نحن كما يطلق عليها الباحثون الغربيون أسم: اليقظة، النهضة، الانبعاث، الإصلاح الديني، التجربة اللبرالية، الحداثة الإسلامية، العصر الليبرالي للفكر العربي الحديث وما شاكل"[٤]. ظهرت إشكالية النهضة في مطلع القرن التاسع عشر يعد أن بدأ العرب والمسلمون يتملكون الوعي بتخلفهم، ويدركون الحاجة إلى النهوض بعد عصور طويلة من التدهور، كان للاحتكاك المباشر بالغرب دوراً رئيسياً في ظهور هذه الإشكالية.

لقد تنبه المثقفون إلى أفكار أوربا الحديثة ومؤسساتها وعرفوا قوتها، وتساءلوا عما يجب عليهم عمله وعما يمكنهم أخذه عن الغرب لإحياء مجتمعهم، وكان السؤال: لماذا تخلف العرب والمسلمون وكيف ينهضون؟ وتوزعوا على تيارين رئيسيين: تيار الإصلاح الديني من جهة، وتيار ليبرالي غلب عليه إلى حد كبير، الطابع العلماني. وجمعت بين التيارين على الرغم من اختلافهما في المنطلقات والمرجعيات، قواسم مشتركة عديدة، كان في مقدمتها الاقتناع بأهمية العلم وضرورة الاستناد إلى العقلانية، والدعوة إلى الانفتاح على العالم والاقتباس المشروط من الغرب[٥]. وعلى الرغم من أن التيار الإصلاحي إتخذ نهجاً إصلاحياً وعقلانياً، إلا أنه يمكن القول إنه بقي في الإطار العام سلفي الاتجاه، فهو يتمسك بضرورة العودة إلى الكتاب والسنة كإطارين مرجعيين لا يجوز الاستغناء عنهما، ويؤكد على ضرورة تطهير المعتقدات من مظاهر الشرك والخرافة، وخاض مواجهات مع الغرب تشككاً في نياته تجاه الثقافة الإسلامية وقيمها[٦].

ومن هنا ظهرت فكرة الجامعة الإسلامية كقوة تجمع الشعوب التي تعتنق الإسلام لتواجه الغرب وأطماعه. ولعب جمال الدين الافغاني دوراً كبيراً في نجاح هذه الفكرة التي كان يهدف من ورائها إلى مواجهة الغرب بنفس سلاحه، بحرية الفكر والتقدم العلمي والإصلاح وفق المدنية الحديثة، وتبنى السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) هذه الفكرة ليحقق بها غاياته في كبت روح التحرر مستمراً في استبداده، وإخافته الدول الغربية بقوة المسلمين وأنه بإمكانه أن يثيرهم ضد الغرب الطامع وأن بوهمهم بأن المسألة دينية وليست سياسة[٧].

وجد المثقفون والاحرار في خطط عبد الحميد الدينية مشروع فشل لحكم الدستور وتعزيزاً للحكم المطلق في أرجاء الدولة العثمانية. إذ رهن السلطان موارد الدولة الرئيسة لدى أصحاب رؤوس الأموال الأجانب وخصص الأموال التي حصل عليها لإعادة تنظيم الجيش[٨]. وبذلك تعززت الدعوات للتخلص من الاستبداد العثماني وانتشرت في العالم الإسلامي، وتركزت في قطبين مهمين هما مصر وبلاد الشام[٩]. ولاح في الأفق أن هناك اتجاهاً جديداً بدأ يفرض نفسه في غمرة الصراع مع الاستبداد التركي والحضارة الغربية الحديثة إذ" أدى الإسلام دوراً

تاريخياً في قيام تيار حضاري عام، ولكن حين طفت على السطح السياسي مظاهر الاستبداد التركي باسم الخلافة الإسلامية برزت المسألة القومية بمعزل عن الفكرة الإسلامية الجامعة للشعوب بالقهر"[١٠].

ومن أبرز المفكرين الاحرار واكثرهم إحساسا بمظالم الترك واستبداد ولاتهم عبد الرحمن الكواكبي الذي جمع ما كتب من مقالات سبق أن نشرها في الصحف في كتابين مهمين هما: طبائع الاستبداد، شرح فيه أسباب الاستبداد ومظاهره ودوافعه والشرور التي تنجم عنه في حياة الشعوب. والثاني، أم القرى، وضعه في صورة محاورات مبتكرة ذات أسلوب جذاب، تخيل فيها قيام جمعية من المسلمين عقدت في مكة للتداول في حال المسلمين تنتهي بإصدار قرارات لإنهاض الأمم الإسلامية[١١]. وقد رفض الكواكبي شعارات "الخلافة الإسلامية" و"الجامعة الإسلامية"، بالمفهوم العثماني، وتحدث بوضوح وصراحة عن "الخلافة العربية"[١٢].

من هو عبد الرحمن الكواكبي

هو عبد الحمن بن احمد بهاني بن محمد بن مسعود الكواكبي، سليل الأسرة الهاشمية، وكانت عائلته تتولى نقاب الاشراف في حلب. عرف والد الكواكبي أميناً لفتوى الولاية مدة من الزمن، وعضواً بمجلس إدارة الولاية، وقاضياً لها، "ومستودع سر الناس ومحرر عقودهم وصكوك معاملاتهم، ثم خطيباً وإمامً في المسجد جده (أبي يحيى) ومديراً ومدرساً بالمدرسة الكواكبية، والمدرسة الشريفة، والجامع الأموي بحلب"[١٣].

ولد عبد الرحمن الكواكبي في حلب سنة ١٨٥٤م، تعلم اللغة التركية والفارسية، فضلاً عن العربية منذ صغره ولما بلغ سنه الحادية عشرة دخل إحدى المدارس الخاصة في إنطاكية، وبعد عام عاد إلى حلب ودرس في المدرسة الكواكبية حين كان والده مدرساً ومديراً لها، ولم تقتصر ثقافته على العلوم التي اقتصرت عليها الحياة العربية في عصور انحطاطها، بل امتدت دراساته لتشمل كذلك المنطق والرياضيات والطبيعة والسياسة، إلى جانب العلوم العربية والشرعية التي كانت سائدة يومئذ مما يمكن تحصيله في مدينة مثل حلب[١٤].

وتعد حلب مكان توفرت فيه أسباب العمران لكونها محطة على طريق التجارة، تعددت فيها وسائل العمل من زراعة وتجارة وحرف متنوعة، اختلطت فيها الاقوام والأديان" وقلما يعرف مذهب من مذاهب الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو مذاهب الديانات الأسيوية لا تقام له بيعة في حلب أو مزار مشهود مقدس عند اتباعه، وهي تتسع لأصحاب هذه المذاهب من العرب والترك والكرد والأرمن والأوربيين يتفاهمون أحياناً بلغة واحدة مشتركة أو يتفاهمون بجميع هذه اللغات كلما تيسر لأحدهم فهم لغة أخرى غير لغته التي ولد عليها"[١٥]. أما في عهد

نشأت الكواكبي فكانت "مثابة للزائرين والمقيمين من فضلاء الشرق والغرب، وبينهم وكلاء الشركات التي تتأسست في المدينة على طريق التجارة الهندية الشرقية قبل افتتاح فناة السويس"(١٦).

نشاطاته وأعماله

عندما بلغ الكواكبي الثانية والعشرون من عمره التحق بالجريدة الرسمية التي تصدر باللغتين العربية والتركية يومئذ في حلب، وكانت تحمل اسم (فرات) وعمل محرراً بها إلا انه أصدر في سنة ١٨٧٨ وعمره أربعة وعشرون عاماً، بالاشتراك مع السيد هاشم العطار صحيفة (الشهباء)، وهي أول صحيفة عربية خالصة تشهدها ولاية حلب، وفي هذا المنبر، الذي لم يمهله الاتراك سوى خمسة عشر عدداً، ظهرت مواهب الكواكبي، وأخذت مقالاته النارية العميقة توقظ ضمائر مواطنيه، وان كانت قد أيقظت كذلك سيف الوالي العثماني" كامل باشا القبرصي" الذي أغلقها. الا أن الكواكبي لم يستسلم، فأنشأ في العام التالي ١٨٧٩ جريدة (الاعتدال)، وواصل فيها تقديم أرائه وافكاره، ولكنها لم تستمر طويلاً أذ أغلقت هي الأخرى. تقلد بعدها مناصباً رسمية عديدة وعضواً في عدة لجان من لجان الولاية، مثل لجنة المعارف والمالية ولجنة الاشعال العامة، ثم أخذت اعماله ومسؤولياته تمتد إلى مختلف اللجان والمناصب في مجموعة كبيرة من القطاعات، كما شغل عضوية اللجنة الخاصة بامتحان المحامين. ثم دخل ساحة القضاء عضواً بمحكمة التجارة بالولاية، فرنسياً لكتاب المحكمة الشرعية بالولاية سنة ١٨٩٤(١٧).

قام الكواكبي بنشاطات واعمال عديدة، منها: أنه جعل للسابلة طريقاً غير طريق الأبل والدواب خلال مدة عمله بالمجلس البلدي للولاية، وأقام في ضواحي المدينة سلاسل للفصل بين معالم الطرق وتيسير السير للمشاة. وزاد أجور العمال سداً لذرائع الرشوة والاختلاس، ورتب أوقات العمل، وتتبع المهربين أجرى عليهم الرواتب والوظائف التي تغنيهم عن التهريب، ضبط أعمال الغرفة التجارية بالإحصاءات ونظمها على غرارا الغرف التجارية في العواصم الغربية، ومن منجزاته إعداد مشروع لإنارة مدينة حلب وضواحيها بالكهرباء، وبناء مرفأ للسويدية وجلب الماء إلى حلب من نهر الساجور، وتجفيف المستنقعات تفادياً للأوبئة ومضارها الأخرى (١٨)، وذلك انطلاقاً من إحساسه بالمسؤولية وسعيه الدائم لمعالجة أسباب التخلف الذي فرضه على ولايته الاتراك العثمانيون، عمل بالتجارة شطراً من حياته واتصل بالتجار والمثقفين والسياح الذين كانوا يؤمون حلب، ومارس مهنة المحاماة وكتابة العرائض و(الظلامات) إلى الباب العالي، وكان يعطف على الفقراء ويدافع عن قضاياهم مجاناً(١٩).

سافر إلى إسطنبول سراً في سنة ١٨٩٢، إلا أن أمره أنكشف واستدعاه الشيخ أبو الهدى الصيادي (١٨٤٩-١٩٠٩)[٢٠]. وكان داعياً للسلطان وعميلاً رئيساً في ضمان الشرعية في البلاد العربية. وضع السلطان تحت تصرفه مبالغاً مالية ضخمة من الخزينتين الإمبراطورية والخاصة ومن الهبات الدينية. وبهذه المبالغ مول الصيادي توسيع الطرق الصوفية في سورية والعراق، وقام بتعمير التكايا وإعادة تعمير وتوسيع أضرحة الأولياء. كما وزع الصيادي المناصب والمنح الدراسية والنياشين للاتباع، وبنى جوامع ومدارس جديدة، وأعاد إعمار القديمة منها، واعتمد الكثير من العاملين في الجوامع، من أئمة الصلاة، إلى المؤذنين، إلى النظار، على حماية الصيادي، وكان يؤكد في كتاباته أن القرآن يأمر المسلمين بالوحدة عن طريق الالتفاف حول الخليفة (السلطان العثماني)، فالمسلمون يستطيعون أن يبرهنوا على إيمانهم بالخضوع للسلطان ومدحه، وان حكمه المطلق يتفق مع مبادئ الحكومة الإسلامية، كما انتقد المصلحين الدينيين[٢١].

قام الصيادي على اغتصاب (نقابة الاشراف) في حلب من اسرة الكواكبي، ووقف الرأي العام في الولاية الى جانب الكواكبي، وأصبح الصيادي موضع سخط الناس وغضبهم كونه رمزاً للرجعية والاتجار بالدين، ورفض الناس تصديق صحة نسبه، بعد ان رفض الكواكبي التصديق عليه[٢٢].

كان الكواكبي معروف بالصراحة والاستقامة، وجرت على موافقة المناوئه لاستبداد الولاة والدولة وعداء المسؤولين الاتراك؛ فأخذوا يثيرون له المتاعب، واتهم بالتأمر على الدولة العثمانية والعمل على قلب نظام الحكم، ولكن المحكمة برأته[٢٣]، ولم يسلم من الأذى والملاحقة، حتى انهم حاربوه في تجارته وتسببوا له في خسارة كبيرة، واخذو يسلطون عليه بعض العصابات لاغتصاب مزورعاته وإتلافها، بل وسلطوا عليه جماعة من الأرمن للاعتداء عليه[٢٤].

غادر حلب الى مصرسراً سنة ١٨٩٩، ووجد فيها تربة مختلفة للكتابة والنشر ومجالاً للفكر وحرية الرأي لم يتيسر مثلهما في الشام. إذ رحبت سلطات الاحتلال البريطاني بالمناوئين للاتراك، فضلاً عن التناقضات بين خديوي مصر عباس حلمي الثاني (١٨٧٤-١٩١٤) وبين السلطان العثماني، واجتماع القيادات العربية الثائرة والحرة في القاهرة، وانفتاح نوافذ مصر على الثقافة الاوربية[٢٥].

لذا دأب الكواكبي على التأليف والنشر، وكان يوقع مقالاته باسم مستعار هو (الرحالة كاف)، وجمعها بعد ذلك في كتاب سماه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، ثم ألف كتابه

(أم القرى) بعد رحلة واسعة شملت الجزيرة العربية والسودان والهند وافريقيا الشرقية والجنوبية[٢٦].

نظرته الى تجديد الدين

يتلخص الإصلاح الديني عند الكواكبي في تحرير الإسلام من الجمود والخرافة، وعلاجها ان يسترجع الدين بساطته الأولى التي كان عليها في صدر الإسلام، ولا يكمل ايمان المسلم بغير الفهم والاجتهاد بحسب تغير الازمان وتنوع الظروف والاحوال "فأن تعذر اجتهاد المسلمين جميعاً فقيام العلماء بأمانة الاجتهاد فرض كفاية لا يسقط عن جيل من اجيالهم ولا سلامة لمن يسقطونه عن أنفسهم"[٢٧].

ومن واجب المسلمين في كل زمن ان يفهموا عقيدتهم وان يعرفوا حكمة فرائضهم وعقائدهم وان الجمود والخرافة لا محل لهما من اتباع ديّن متسم بالبساطة والوضوح يأخذه خاصتهم وعامتهم مأخذ الفهم والنصيحة على حسب عقولهم ومصالحم[٢٨]، وان سر تجدد الإسلام وحيويته انما يأتي من هذا التوجه والعودة الواعية المستنيرة الى المنابع النقية لهذا الدين، وإزالة ما علق به من بدع وتعقيدات وشبهات وخرافات واساطير[٢٩]، ويذكر حاجة الانسان جميعاً الى حكماء يجددونها و"بذلك يعيدون النواقص المعطلة في الدين" ويهذبونه من الزوائد الباطلة مما يطرأ عادة على كل دين بقادم عهده فيحتاج الى مجددين يرجعون به الى اصله المبين البرىء من حيث تمليك الإرادة ورفع البلادة من كل ما يشين[٣٠].

واذا ما رجعنا الى القرآن الكريم المستقى منه تعاليم ديننا، فأن وحدة هذا المصدر ووضوحه وغناه ستجعلنا متحدين حوله، وهو افضل علاج لرآب الصدع، وتخطي الفرقة والاختلاف، وهذا يستلزم "ان نترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبوعها تقليداً فلا نعرف مأخذ كثيرة من احكامها، وان نعتمد على ما نعلم من صريح الكتاب، وصحيح السنة، وثابت الأجماع، وليكون ما نقرره مقبولاً عند الجميع اهل القبلة "وان يجتمع على ما تفهمه من النصوص، او ما يتحقق عندنا حسب طاقتنا انه جرى عليه السلف، وبذلك تتحد وجهتنا" اما عن المضار التي تلحق العقيدة من نفوذ المنجرين بالدين الذيم يردون لسطانهم ان بمتد الى كل نواحي الحياة" بينما لا يوجد في الشريعة الإسلامية نفوذ ديني مطلقاً في غير مسائل إقامة الدين، وان محاولات الخلط انما تجر الناس الى عقيدة تجعل ولاءهم للحكام، بينما "ان مبنى ديننا على الولاء فيه لعامة المسلمين[٣١].

ويميز الكواكبي بين نوعين من التعاليم في الدين: الاخلاق، العبادات، ويرى وجوب الاهتمام بالاخلاق لاثرها الفعال في المجتمع، ولا سيما في مقاومة الاستبداد، كما يرى ان "الاستبداد مفسد للدين في اهم قسميه، أي الاخلاق؛ واما العبادات منه فلا يمسها لانها تلائمه في الأكثر، ولهذا تبقى الأديان في الأمم المأسورة عبارة عن عبادات مجردة صارت عادات، فلا تفيد في تطهير النفوس شيئاً"[٣٢].

ومع تأكيده على اهمية الاجتهاد ودوره في جعل الدين منسجما مع تغير الظروف والاحوال، لم يغفل الكواكبي عن وضع خطة عملية لتحقيق الاصلاح في هذا الجانب، ويذكر صفة العالم الذي يؤهله علمه للاجتهاد بالراي والاقناع بالدليل. فينبغي للعالم المجتهد[٣٣].

اولاً: ان يكون عارفا باللغة العربية المضرية القرشية بالتعليم والمزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومنجزاتها وقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفضيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر اتقانه الا لمن أفنى ثلثي عمره فيه.

ثانيا: انه يكون قارئا كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتادر منه معاني مفرداته وتراكيبة مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام في كتبها المدونة المأخوذة من السنة.

ثالثاً: ان يكون متضلعاً في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابيعهم او تابعي تابعهم فقط.

رابعاً: ان يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) واصحابه واحوالهم من كتب السير القديمة.

خامساً: ان يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليمي والفلسفة اليونانية والالهيات الفيثاغورية بأبحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة واغربات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتاخرين وحشويات الموسومين وتزويقات المرائين.

وعلى العلماء المجتهدين ان ييسروا لكل من المقلدين ان يأخذ من احكام الدين ماهو اهل لفهمه حسب طاقته، وعلى هذا فان كل اصلاح ديني يتلخص عند الكواكبي"في تصحيح الايمان واعتبار الشعائر والفرائض اية على صحة الايمان، تدل على سلامته بمقدار سلامتها من تشبيهات الوثنية وعوارض الشرك والزيغ عن الوحدانية، ولا بقاء للظلم والفساد مع هذا الايمان، ولكنهما قد يبقيان ويطول بقاؤهما مع قيام الشعائر التي فارقتها روح الدين ولم يتخلف عنها غير الرسوم والاشكال"[٣٤].

ويطرح أسئلة مهمة وملحة ويجيب عليها: لماذا يضعف المسلمون؟ يضعفون لأنهم أهملوا اداب الدين التي نهضوا بها في صدر الإسلام. ولماذا أهملوا اداب الدين؟ لأنهم جهلوا لبابه واخذوا منه بالقشور.ولماذا جهلوها؟ لأنهم فقدوا الهمة وقنعوا بالضعة واستكامزا الى الخور والتسليم[٣٥].

ومن أسباب التأخر كما يرى الكواكبي ان امراء المسلمين تاخروا واخروا معهم راعاياهم لأنهم احاطوا عروشهم بشراذم من الحاشية المتملقين واستمعوا الى مشوراتهم[٣٦]. يؤكد "ان الإسلامية مؤسسة على اصوال الحرية برفعها كل سيطرة وتحكم بامرها بالعدل والمساواة والقسط والاخاء، يحضها على الاحسان والتحابب"[٣٧].

موقفه من نظام الحكم والدعوة الى الخلافة

يرى الكواكبي ان الاستبداد صفة للحكومة المطلقة التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية من حساب او عقاب وان "أشد مراتيب الاستبداد التي يتعوذ بها من الشيطان هي الحكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية "، كما ان "الحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والاحتساب الذي لا تسمح فيه كما جرى في صدر الإسلام"[٣٨]. وبحسب معرفته بالتاريخ فانه مامن حكومة عادلة تامن المسؤولية والحساب الا وتنزع نحو الاستبداد.

فالمستبد يتحكم في شؤون الناس بارادته لا بارادتهم، ولأنه يعلم انه غاضب ومعتدي على الحقوق، لذا يسعى الى سد افواه الملايين عن النطق بالحق والمطالبة بالحقوق. فهو عدو الحق وعدو الحرية، يتجاوز الحد مالم ير حاجزا من حديد، مستعد بالطبع للشر، يود ان تكون رعيته كالغنم، و"على الرعية ان تعرف مقامها هل خلقت خادمة لحكامها، تطيعه ان عدل او جار، وخلق هو ليحكمها كما شاء بعدل او اعتساف، ام هي جاءت به ليخدمها لا يستخدمها والرعية العاقلة تقيد وحش الاستبداد بزمام تستميت دون بقائه في يدها لتامن من بطشه فان شمخ هزت به الزمام وان صال ربطته"[٣٩]

ويؤكد الكواكبي ان حكم الاستبداد قد استفحل بين المسلمين بعد اهمالهم حياة الجماعة والمشاورة بين الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وان سبب الفتور الذي اصابهم كما جاء بلسان خطيب من الخطباء ام القرى "هو فقد الاجتماعات والمفاوضات إذا نسوا حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطباؤهم ووعظهم خوفا من اهل السياسة التعرض لشؤون العامة، كما ان علماءهم صاروا يسترون جبنهم بجعلهم التحدث في الأمور العمومية والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني، وان إتيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا

يجوز. وربما اعتبروه من الغيبة والتجسس أو السعي بالفساد فسرى ذلك الى افراد الامة وصار كل فرد لا يهتم الا بخصوص نفسه وحفظ حياته في يومه، كأنه خلق أمة وحدة"[٤٠].

لذا شن الكواكبي في مقالاته وكتبه ولاسيما في كتابه طبائع الاستبداد حملة على الفساد والظلم والاضطهاد، دعا الى مقتومة الاستبداد، وكان يرى ان التعليم اهم من الثورة، وانه الوسيلة المثلى للتخلص من الاستبداد ونشر الوعي والمعرفة بين الناس، ويقول" ان بين الاستبداد والعلم حربا دائمة وطردا مستمرا: يسعى العلماء في نشر العلم، ويجتهد المستبد في إطفاء نوره، والطرفان يتجاذبان العوام. ومن هم العوام؟ هو أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، وإذا خافوا استسلموا كما انهم هم الذين متى علموا قالوا ومتى قالوا فعلوا" ويؤكد "العوام هم قوة المستبد، وقوته بهم، عليهم يصول ويطول " وان المستبد يخاف من رعيته ونقمتهم عليه أكثر من خوفهم من بطشه، لان خوفه ناجم عن عجز حقيقي فيه من مصير ينتظره هو فقد حياته وسلطانه. الا ان الامل لا يخبو بريقه عند الكواكبي إذ يقول "وكم أجبرت الأمم بترقيها المستبد اللئيم على الترقي معها والانقلاب رغم طبعه الى وكيل امين يهاب الحساب، ورئيس عادل يخشى الانتقام وحينئذ تنال الامة حياة رضية هنية، حياة رخاء ونماء، بان عز وسعادة[٤١].

وحيث ان الدين أقوى تأثيراً من السياسة اصلاحاً وافساداً، كما يعتقد الكواكبي، فان الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني، والمستبد السياسي ديدنه إتخاذ صفة قدسية من صفات الله، ويتخذ بطانة من رجال الدين يعينونه في ظلم الناس باسم الله، وكل هذا مناف لجوهر الإسلام الحقيقي القائم على الحرية السياسة، الى ان زحف عليه من الفساد ما زحف على كل من الأديان من فرق المسلمين وجعلهم شيعاً وأحزاباً وحول نظام الحكم من الشورى الى الاستبداد[٤٢]، ومن خلال اطلاعه على تاريخ الأمم والدول وثقافته الواسعة، يجد ان افضل نظام للحكم هو الذي تقوده النخبة التي يسميها بالحكماء و "الذين يطلق عليهم اهل الحل والعقد الذين لا تنعقد الامامة شرعاً الا ببيعتهم، وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين امر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر...لأنهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الإسلامية مقام مجالس النواب والاشراف، وحيث ان الدولة العثمانية إمبراطورية تضم شعوباً وأمماً مختلفة ومتنوعة تجمعها وحدة الدين، فهو يدعو الى نظام يعرف اليوم بالإدارة اللامركزية، إذ يقول "من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي إداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحال في إمارات المانيا وولايات أمريكا الشمالية، وكما يفعله الإنكليز في مستعمراتهم والروس في أملاكهم"[٤٣]. ويجعل الكواكبي قضية الدولة والخلافة تعتمد على ثلاث قواعد أساسية[٤٤]:

١. أن ينفصل المُلك عن الخلافة، وضرورته تتأتى من فشل التصدي لواجبات الخلافة مع قيود المُلك ومأزق السياسة وصعوبة الوحدة الجامعة بين دول الإسلام.

٢. أن تعود الخلافة الى الأمة العربية، ويشترط أن يكون الخليفة عربياً، وان يكون اختياره بالانتخاب، وان تكون وظيفته روحية يعاونه مجلس شورى تتمثل فيه جميع الشعوب الإسلامية، وتنفذ وصاياه طواعية في المسائل الدينية، ولا تتعرض في تنفيذها للمشكلات السياسية.

٣. أن تقوم الخلافة على أساس الانتخاب والشورى والتعاون المتبادل على سنة المساواة بين الأقطار الإسلامية.

ويواصل توضيح أفكاره في هذا الصدد، إذ يؤكد في "أم القرى" إن التماثل القومي بين الراعي والرعية "يجعل الأمة تعتبر رئيسها فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لا يكون في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي:

وإنما الناس بالملوك ولا يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لا خلاف فيه أن أهم حكمة الحكومات أن تتخلق بأخلاق الرعية وتتحد معها في عوائدها ومشاربها"[٤٥].

لقد حدد الكواكبي البيعة للخليفة بثلاث سنوات قابلة للتجديد، وربطها بهيئة عامة للشورى تبلغ قراراتها للخليفة الذي عليه مراقبة تنفيذها. كما لا ينبغي للخليفة ان تكون له قوى عسكرية بل يناط حفظ الأمن بقوة عسكرية صغيرة تسهم فيها جميع الامارات في الدولة، ويكون القائد العسكري تحت إمرة هيئة الشورى. "ومن ذلك يتضح ان الكواكبي يريد للخليفة ان يسود ولا يحكم وان يختص بالسلطة الدينية في حين تكون السلطة الزمنية الحقيقية بيد هيئة الشورى وحكام الامارات والسلطنات المختلفة، انه يريد ان تكون الخلافة محدودة السطوة مربوطة بالشورى، على حد تعبيره"[٤٦]. ويؤكد بوضوح ان العرب هم أصحاب الكفاءة والمقدرة على إزالة فتور الأمة الإسلامية، وان" عرب الجزيرة هم مؤسسوا الجامعة الإسلامية، لظهور الدين فيهم، وكذلك من يتبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة، والنازحين الى افريقيا"[٤٧]. وهي دعوة صريحة الى عقد لواء القيادة الإسلامية الى العرب وانتزاعه من يد الاتراك. ويؤكد في موضع أخر على دعوته هذه مشيداً بفضائل العرب وخصالهم بالقول: "العرب هم: أقدم الأمم إتباعاً لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية ...وأعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية ... وأهدى الأمم لأصول المعيشة الاشتراكية... وأحرص الأمم على احترام العهود، عزة، واحترام الذمة، إنسانية، واحترام الجوار، شهامة، وبذل

المعروف، مروءة ... وهم: أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدين، وقدوة للمسلمين، حيث كان بقية الأمم قد اتبعوا هديهم ابتداءً، فلا يأنفون عن إتباعهم أخيراً... فهم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية، بل الكلمة الشرقية"[٤٨].

ويقوم المفكر والكاتب عباس محمود العقاد هذا التوجه لدى الكواكبي بالقول:" ان عمق الرجل ودراسته تاريخنا وتراثنا، وملاحظاته العميقة وهو يدرس واقع الامة وحياتها، إنما لعبا دوراً هاماً وكبيراً في بلورة نظرته في العروبة ونظريته القومية منذ ذلك التاريخ. وهي جميعا دلائل حاسمة على ان الكواكبي قد قدم هنا ما لم يقدم سواه من المعاصرين ولا من الذين سبقوه. وانه جدير بأن يعقد له لواء الريادة في هذا الميدان"[٤٩].

ويمكن القول ان الفكر الناضج الذي أتسم به الكواكبي جعله يفهم الترابط الضروري ما بين الوطنية والقومية والإنسانية، فهو ضد اللذين يضعون الإنسانية كنقيض للقومية والوطنية، وليس مع اللذين يرون في التزام العقيدة، أية عقيدة، تخطياً وإلغاء لخصوصية الوطن والقومية.

نظرته الى التربية والتعليم

يحدد الكواكبي مهمة التربية باتجاهين: أولهما، التربية العامة وتشمل كبار الأمة وصغارها، وتهدف هذه التربية الى تهذيب الصفات القومية وتعزيز خزين الأمة من الاخلاق والعادات جيلاً بعد جيل. وثانيهما، تربية الناشئين في المدارس ومعاهد التعليم وتزويدهم بما ينفعهم وينفع أمتهم في أعمالهم الخاصة والمشتركة[٥٠].

ويرى ان الانسان ينشأ وهو طري العود، تتحكم به ظروف التربية وتميل به الى الخير أو الى الشر، أي ان لديه استعداداً للصلاح وللفساد، وهي مهمة الوالدين في البدء " أي ان التربية تربو باستعداده جسماً ونفساً وعقلاً إن خيراً فخير وان شراً فشر"، إذ ان " التربية ملكة تحصل بالتعليم والتمرين والقدوة والاقتباس، فأهم أصولها وجود المربين وأهم فروعها وجود الدين". ويقسم وظائف التربية بحسب السنين والمراحل العمرية للإنسان، لذا تكون" التربية تربية الجسم وحدة الى سنتين، هي وظيفة الأم أو الحاضنة، ثم تضاف إليها تربية النفس الى السابعة، وهي وظيفة الأم أو الحاضنة، ثم تضاف إليها تربية النفس الى السابعة، وهي وظيفة الأبوين والعائلة معاً، ثم تضاف اليها تربية العقل الى البلوغ، وهي وظيفة المعلمين والمدارس، ثم تأتي تربية القدوة بالأقربين والخلطاء الى الزواج، وهي وظيفة الصدفة، ثم تأتي تربية المقارنة، وهي وظيفة الزوجين الى الموت أو الفراق[٥١].

وقد ربط التربية بالإرادة الحرة "وما ابعد الناس المغصوبة أرادتهم المغلولة أيديهم، عن توجيه الفكر الى مقصد مفيد كالتربية او توجيه الجسم الى عمل نافع كتمرين الوجه على الحياء والقلب على الشفقة"، وان الاستبداد محبط لجهود التربية، فهو يضطر الناس الي استباحة الكذب والتحيل والخداع والنفاق والتذلل. والى مراغمة الحس واماته النفس ونبذ الجد وترك العمل الى أخره. وينتج من ذلك ان الاستبداد المشؤوم، هو يتولى بطبعه تربية الناس على هذه الخصال الملعونة. بناء عليه يرى الآباء في تربية الأبناء التربية الاولى على غير ذلك لابد ان يذهب عبثا تحت أرجل تربية الاستبداد، كما ذهبت قبلها تربية إبائهم لهم، أو تربية غيرهم لأبنائهم سدى"[٥٢].

ولأن التربية لا تنفصل عن التعليم فقد جعله من اهم اغراض الجمعية التي ذكرها في كتابه ام القرى فهو يؤكد على أهمية تعميم التعليم بين المسلمين، والترغيب في العلوم والفنون النافعة وإيجاد المدارس العالية، على ان يتخصص كل منها للتوسع في فرع من فروع العلم والمعرفة، وتوحيد أصول التعليم، ووضع مناهج للرقي بالأخلاق وتنفيذها. كما أكد على أهمية التخصص وضرورته، وعدم اهدار الجهد والوقت في تحصيل عدد كبير من العلوم والمعارف، فالتخصص يفضي الى التفوق وربما النبوغ[٥٣].

اذ ان "الكياسة لا تتحقق في الانسان الا في فن واحد فقط ... وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. فالعاقل من يتخصص بعمل واحد"[٥٤]. يصف مفكرنا التربية بانها نهضة مفتوحة العينين تمضي على ثقة وبصيرة ولا تستسلم للإعجاب الذليل ولا للمحاكاة العمياء، وأنها ملكة" تحصل بالتعليم والتمرين والقدوة والاقتباس، اهم اصولها وجود المربين واهم فروعها وجود الدين"[٥٥].

<u>ومن هنا يمكننا ان نحدد ملامح الفكر التربوي عند الكواكبي فهو:</u>

١. يؤمن بان التربية عملية اجتماعية تلعب فيها الظروف المحيطة والملابسات التي تكتنف حياة الشباب، دورا حاسماً وأساسياً سواء في تقدمها او في اعاقتها عن بلوغ الأهداف.

٢. يدعو فلاسفة التربية ورجال التعليم الى اقناع الشباب والناس عموما، والاعتماد على التشويق كسبيل لهذا الاقناع والاقتناع، بدلاً من صب المعلومات في عقول ونفوس لا تريد استيعابها باي حال من الأحوال، او اكراهها على الاستيعاب.

٣. يتناول قضية التخصص ويدعو اليه، فهناك تخصص في مراتب التعليم، بمعنى التدرج والتمايز على أساس من تدرج مراتب المعلمين والمتعلمين، ويقول عنه بأنه:" الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب:

العامـة: ومهذبوهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة

المهذبون: ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة.

العلمـاء: ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية.

النـابغون: ومعلموهم الافاضل المتخصصون.

٤. يلفت الانظار الى ضرورة التخطيط للتربية والتخير الواعي لأنواع العلوم والمعارف التي نربى بها الشباب، وضرورة الاهتمام بالعلوم والمعارف التي تمثل الاسلحة التي تحتاج اليها الامة[٥٦].

ولأهمية المربين ودورهم وتأثيرهم في النهضة المنشودة يضع خطه تهيئ هؤلاء المربين لأعداد أنفسهم وعقولهم للصبر على متاعبهم وتذليل الصعوبات التي تواجههم ونكران ذواتهم، خلاصتها[٥٧].

١. ان يجتهد في ترقيه معارفه لا سيما العلوم النافعة الاجتماعية كالحقوق والسياسة، مع النظر في الإدارة الداخلية والحربية.

٢. ان يتقن أحد العلوم التي تكسبه الاحترام بين قومه.

٣. ان يحافظ على الآداب العامة.

٤. يقلل الاختلاط بالناس حفاظا للوقار واجتنابا للارتباط القوي بأحد، كي لا يسقط بسقوطه.

٥. ان يتجنب مصاحبه المقود عند الناس لاسيما الحكام.

٦. ان يجتهد ما أمكنه في كتم مزيته العلمية عم من دونه ليأمن غوائل حسدهم، وانما عليه ان يظهر مزيته لمن هم فوقه بدرجات كثيره.

٧. ان يتخير من ينتمي اليه من الطبقة العليا ولا يكثر التردد عليه ولا يظهر له الحاجة.

٨. ان يحرص على الاقلال من بيان آرائه لكيلا تؤخذ عليه تبعاتها.

٩. ان يحرص على ان يعرف بحسن الاخلاق ولاسيما الصدق والأمانة والثبات.

١٠. ان يظهر الشفقة على الضعفاء والغّيرة على الدين والعلاقة بالوطن.

١١. ان يتباعد من المستبد واعوانه بمقدار ما يأمن شرهم ان كان معرضا لذلك.

اما عن التربية المدرسية فيرى انه عمل يتصدى له خبراؤه المختصون عن طريق الاشراف على ادارة المدارس واعداد مناهج التعليم، تهيئه المعلمين وتنظيم عملهم، فضلا عن تقسيم

مراحل التدريس في المعاهد مع مراعاة اوقات التكملة والانتهاء، على حسب الحاجة المتجددة الى كل صنف من اصناف الدراسات. مع الحرص على "ان التعليم مع الحرية بين المعلم والمتعلم، أفضل من التعليم مع الوقار، وان التعلم عن رغبة في التكمل أرسخ من العلم الحاصل طمعا في المكافأة، او غيرة من الاقران". كما يحدد الغاية من التربية فيقول:" والتربية المطلوبة هي التربية المرتبة على اعداد العقل للتميز، ثم على حسن التفهيم والاقناع، ثم على تقوية الهمة والعزيمة، ثم على التمرين والتعويد، ثم على حسن القدوة والمثال، ثم على المواظبة والاتقان، ثم على التوسط والاعتدال، وان تكون تربيه العقل مصحوبة بتربية الجسم، لانهما متصاحبان صحة واعتلالاً[٥٨].

ويؤكد على اهميه التنوع في دراسة العلوم والمعارف الحديثة اقتداءً بما يجري في الغرب ويقول على لسان العالم الكردي في ام القرى ذاكرا أسباب تأخر المجتمعات الإسلامية وتقدم الغرب:" ان السبب العام هو ان علمائنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات واهملوا باقي العلوم الرياضية والطبيعية التي كانت إذا ذاك ليست بذات بال، ولا تفيد سوى الجمال والكمال. ففقد اهلها من بين المسلمين وان درست كتبها وان قطعت علاقتها فصارت منفورا منها. والمرء عدو ما جهل، بل صار المتطلع اليها منهم يفسق ويرمى بالزيغ والزندقة، على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب، وعلى كر القرون ترقت وظهرت لها ثمرات عظيمه في كافة الشؤون المادية والأدبية"[٥٩]. يدعو الكواكبي الى تعليم المرأة ويعدها الاساس لتربية الامة ونهوضها، ويقول في كتابه ام القرى:" ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضحا وغني عن البيان". وهذا فضلا عن سوء تأثيره في الرجال من الأزواج، لان الرجل كما قال: "يغره انه امامها اي امام زوجته وهي تتبعه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يراها كل الناس من حولهما دونه انها انما تمشي وراه بصفه سائق لا تابع".

ويفسد حجاب المرأة الشرعي بانه "محدود بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوه او لغير لزوم" لان الحجاب بهذا المقدار يكف من سوء تأثير النساء ويفرغ اوقاتهن لتدبير البيوت توزيعاً لوظائف الحياة ويرى ان "جهالة النساء مفسده للنشأة الاولى وقت الطفولية والصبوة"[٦٠]. ويكثر الحض في كلام الكواكبي على تصحيح وظيفة المرأة في الحياة والتحذير من جهلها وسوء تربيتها. ويجد في نظامنا التربوي مقتل دامياً في موقف المجتمع من قضية المرأة وتعليمها، وهو عندما يعالج قضية المرأة عموماً، وقضية تعليمها وتربيتها بخاصه، انما يقدم افكار عميقه وناضجة وواقعية فهو يرى ان "هذه القسمة المتفاوتة بين ادم وحواء الى هذه النسبة المتباعدة جاء بها الاستبداد السياسي". ويبرئ الدين الاسلامي من تبعة الافكار الرجعية التي اراد أعداء تحرير المرأة تحميله إياها، كما يجرد هؤلاء الاعداء من الثياب الخادعة

التي زعموها في ثياب فضيلة ارتدوها في معركتهم ضد اعطاء المرأة مالها من حقوق وتكليفها بما تطيق من مسؤوليات. وهو يمضي في حديثه الى ما هو ابعد من ذلك، ليثبت عكس ما يريده اعداء المرأة ويحاولون ترويجه حول ارتباط المرأة وخروجها الى الحياة الاجتماعية بالشيوع الانحلال والفجور في المجتمع، فيتحدث عن " ان انحلال اخلاقنا سبباً مهماً اخر يتعلق بالنساء، وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا". ويتحدث عن مضار أمومة المرأة الجاهلة على الأزواج، فضلاً عن الأبناء، فاذا كان "ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان، فان سوء تأثيره على اخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث، فأقول: ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم، والمرأة أقدر مطلقاً من الرجل في ميدان التجاذب للأخلاق، ولا يتوهم عكس ذلك ألا من استحكم فيه تغرير زوجته له، بانها ضعيفة مسكينة مسخرة لإرادته، حال كون حقيقة الامر انها قابضه على زمامه تسوقه كيف شاءت"[٦١]. على الرغم من آرائه المتقدمة في قضية المرأة وأهميتها ودورها، فان بعض الباحثين يتهمونه بالرجعية ومعاداة المرأة او التعصب ضدها[٦٢]. لأنه ذكر في كتابه طبائع الاستبداد ان النساء "اقتسمن مع الرجال اعمال الحياة قسمه ضيزى"، وكذلك تحدث عنهن بالقول " وتحكمن بسن قانون عام به جعلن نصيبهن هين الاشغال بدعوى الضعف وجعلن نوعهن مطلوبا عزيزاً بإيهام العفة، وجعلن الشجاعة والكرم سينتين فيهن محمدتين في الرجال، وجعلن نوعهن يهين ولا يهان ويظلم او يظلم فيعان"[٦٣].

آراؤه في العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة

كان الكواكبي من أنصار المساواة والعدالة الاجتماعية، ويرى ان هناك صلة وثيقة بين الاستبداد السياسي والحالة الاقتصادية، وتتحقق العدالة الاجتماعية في رأيه بالرجوع الى احكام الاسلام وما اورده في هذا الجانب كالزكاة وملكيه الارض وما اشبه[٦٤]. اذ ان "الإسلامية"، كنظام حكم، قد قامت على الفلسفة الاشتراكية. وان التعاليم الإسلامية وتشريعاتها تؤكد على "الاشتراك " و"الاشتراك العمومي"[٦٥].

فالعدالة تقضي على يأخذ الغني بيد الفقير والراقي بيد الأدنى، فيقربه من منزلته ويقاربه في معيشته، وقد اكد الإسلام على هذا الجانب، ففرض الزكاة (٢.٥%) من رؤوس الاموال تعطى للفقراء وذوي الحاجه، وحرم الربا، لأنه وان اجازه الاقتصاديون لأسباب معقوله اقتصاديه للقيام بالأعمال الكبيرة، ولان الاموال المتداولة في السوق لا تكفي للتداول، فكيف اذا امسك المكتنزون قسماً منها ولان كثيراً من القادرين على العمل لا يجدون رؤوس الأموال، فان الدين ورجال الأخلاق ينظرون اليه من حيث ضرره الأخلاقي، لأنه متى انتشر قسم الناس الى سادة

وعبيد، وكان سببا في ضياع استقلال الامم الضعيفة[٦٦]. ويؤكد الكواكبي ان "الشرائع السماوية كلها وكذلك الحكم الأخلاقية والعمرانية حرمت الربّا صيانة الاخلاق المرابين من الفساد لان الربا هو الكسبان بدون مقابل مادي فتيه معنا الغصب وبدون عمل لان المرابي يكتب هو نائم فيه الألفة على البطالة من دون تعرض للخسائر طبيعية التجارة والزراعة والاملاك كيفيه النماء المطلق المؤدي لانحصار الثروات ويشير الى ان افضل حكومة حققت العدالة وانصفت الناس في توزيع الثروة هي التي شهدها صدر الاسلام وما نهجه الخلفاء الراشدون اذا كان الخلفاء الراشدين قد فهموا معنى القران وعملوا به واتخذوه اماماً، فأنشوا حكومة قضت بالتساوي حتى بين انفسهم وبين فقراء الامه في نعيم الحياه وشظفها، واحدثوا في المسلمين عواطف اخوة وروابط هيئة اجتماعية، وحالات معيشه اشتراكية، لا تكاد توجد بين اشقاء يعيشون بأعاله أب واحد وفي حضانة ام واحده"[٦٧].ويرى ان التفاوت في الثروات دعامه من اقوى دعائم الاستبداد، لأنه يسمح لأصحاب النفوذ الديني او الدنياوي وهم لا يزيدون عن خمسه في المائة من السكان بأن يستأثروا لأنفسهم بنحو نصف الثروة العامة. وقال بعد ان حدد: **الشرط الأول:** الاحراز المال يأتي من بذل الطبيعة او بالمقايضة او في مقابل عمل او في مقابل ضمان على ما تقوم بتفصيله الشرائع المدنية:" **والشرط الثاني:** ان لا يكون في التمول تضييق على حاجيات الغير كاحتكار الضروريات، او مزاحمة الصناع والعمال الضعفاء، او التغلب على المباحات مثل امتلاك الاراضي التي جعلها خالقها مرحاً لكافة مخلوقاته"[٦٨].وانا اختلال نظام الثروة ناجم عن الحكومة الاستبدادية التي تجعل رجال السياسة والدين ومن يلحق بهم يتمتعون بحظ عظيم من المال العام، ومع ان عددهم لا يتجاوز الواحد في المائة وهي تخصص الكثير منه لترف المستبد واسرافه، وتغدق على صنائعها، ومن يستخدم لتحصيل شهواتها، ومن يعينها على طغيانها، وسائر افراد الشعب في شقاء وبئس وهذه الحكومات المستبدة "تيسر للسفلة طرق الغنى بالسرقة والتعدي على الحقوق العامة، ويكفي احدهم ان يتصل بباب احد المستبدين ويتقرب من اعتابه ويتوسل الى ذلك بالتملق وشهاده الزور وخدمه الشهوات والتجسس، ليسهل له الحصول على الثروة الطائلة من دم الشعب"[٦٩].

والعدالة في راي الكواكبي تقضي ان يؤخذ من مال الاغنياء ليوزع على الفقراء ليحصل التوازن في الثروة ولا يموت النشاط والحافز للعمل. فالمعيشة الاشتراكية في حكم الدين والسياسة الرشيدة "من أبدع ما يتصوره العقل، ولكن مع الاسف لم يبلغ البشر بعد من الترقي ما يكفي لتوسيعهم نظام التعاون والتضامن في المعيشة العائلية الى اداره الامم الكبيرة".

وعلى هذا يمكننا ان نلخص برنامج الكواكبي في الاصلاح الاقتصادي واداره الثروة العامة في الاشتراكية التي تقوم عنده على وفق المبادئ الأتية[٧٠]:

١- تعميم العمل المثمر بين افراد الامة وتحريم الكسب بغير عمل مشروع.

٢- اجتناب التمييز بين افراد الامه بغير مزية لازمة للخدمة العامة.

٣- اجتناب التفاوت المفرط في توزيع الثروة بين الافراد أياً كان حظهم من التفاوت في الكفايات والاعمال.

٤- قيام المجتمع على التعاون والتضامن بين العاملين فيه، وازاله اسباب العجز عن الكسب او معونة العاجزين عنه لضرورة من ضرورات المرض والحرمان.

٥- تأميم المرافق العامة ومنع الاحتكار.

وكان الكواكبي يؤمن ايمانا عميقا بان العمل الانساني هو أشرف شيء يمكن ان يتحلى به الانسان بل لقد رآه معياراً انسانية الانسان، فقد ذكر ان البشرية هي العلم، وان القضاء والقدر هما السعي والعمل، ومن ثم فان الانسان لا يكون انسانا ما لم تكن له صنعة مفيدة تكفي معاشه باقتصاد، "لا تنقصه فتذله، ولا تزيد عليه فتطغيه"[٧١].

نظرته الى اوروبا والحضارة الغربية

اتاحت المعرفة والاطلاع الواسع على اوضاع اوروبا وتطورها الحضاري فهماً عميقاً ووعياً قل ان تيسرا لا أحد من المفكرين الذين عاصروا الكواكبي. لأجل الالمام بعوامل الاصلاح ومن ثم النهضة، نجد الكواكبي يقارن بين اوضاع اوروبا واحوالها وما يقابلها من اوضاع في بلاد الشرق و يسترعي اهتمامه السياسيون وعلاقتهم بالاستبداد فيقول عنهم: الغربيون منهم يعينون الام على الكسب ليشاركوها، و الشرقيون لا يفتكرون في غير السلب الموجود، وهذه من جمله الفروق بين الاستبداد الغربي والشرقي، التي منها ان الاستبداد الغربي يكون احكم وارسخ واشد وطأة ولكن مع اللين والشرقي يكون مقلقلا سريع الزوال ولكنه يكون مزعجا "ويختلف الاستبداد الشرقي عن الغربي في الزوال والتعاقب فان "الاستبداد الغربي اذا زال تبدل بحكومة عادلة اما الشرقي فيزول ويخلفه استبداد شر منه لان من دأب الشرقيين الا يفتكروا في مستقبل قريب، كان اكبر همهم منصرف الى ما بعد الموت فقط او انهم مبتلون بقصر النظر"[٧٢]. ويهاجم فئة المتعلمين الذين جذبهم بريق الحضارة الأوروبية وضاعوا في مادياتها، فهذه الفئة اخذت بالقشور من العلم الحديث وقل نصيبها من معرفة الدين واستهواها حب التشبه بالأقوياء الظافرين وخلبتها

فتنه الحضارة وزخرف الحياة المادية فتحللت من اواصر دينها وهان عليها امر العقيدة وامر الوطن فلم يبقى لها من الغيرة الدينية ولا من النخوة القومية غير المظهر والعنوان[٧٣].

ويتناول انتقال العلوم والمعارف من الشرق الى اوروبا وكيف تنورت به العقول على الرغم من معارضه رجال الدين، واصبحت للأفكار قوه اغتنمها زعماء الحرية في الغرب وجعلوها تياراً سلطوا على رؤوس اهل السياسة والدين[٧٤]. ويقول: " كنا أرقي من الغرب علما فنظاما فقوه ...ثم جاء حين من الدهر لحق بنا الغرب فصارت مزاحمة الحياة بيننا سجالا... ثم جاء الزمن الأخير ترقى فيه الغرب علما فنظاما فقوة. وانضم الى ذلك:

أولا: قوة اجتماعه شعوباً كبيرة.

ثانياً: قوه البارود حيث أبطل الشجاعة وجعل العبرة للعدد.

ثالثاً: قوه كشف اسرار الكيمياء والميكانيك.

رابعاً: قوه الفحم الذي اهدته له الطبيعة.

خامساً: قوه النشاط بكسره قيود الاستبداد.

سادساً: قوه الامن على عقد الشركات المالية الكبيرة فاجتمعت هذه القوات فيه وليس عند الشرق ما يقابلها غير الافتخار بالأسلاف وذلك حجه عليه، والغرور بالدين خلاف للدين ... ويخالفون امر القران لهم بان يعد ما استطاعوا من قوه، لا ما استطاعوا من صلاه وصوم"[٧٥]. وهو يرى ان العلم الحديث في اوروبا مطلب مباح بالفريضة واجبة، توافق الدين ولا تناقضه وعلى المصلح الحكيم لا يحارب هذه العلوم لكونها دخيله بل يسعى اليها ويرحب بها ويجتهد في نقلها واقتباسها ويتخذها سبيلا من سبل الاصلاح وينظر كيف يقنع باسم الدين من يعارضون الاصلاح باسم الدين لأنه جديد ولا محل جديد عند الجامدين على القديم [٧٦]، ومع هذا يأخذ الكواكبي على الغرب ماديته وابتعاده عن الدين اذ ان بعض الاجتماعيين في الغرب يرون ان الدين يؤثر على الترقي الافرادي ثم الاجتماعي تأثيراً معطلا كفعل الافيون في الحس"[٧٧].

ولذلك اصبح الغربي مادي الحياه قوي النفس شديد المعاملة حريص على الاستئثار حريص على الانتقام كانه لم يبقى عنده شيء من المبادئ العالية والعواطف الشريفة التي نقلتها له مسيحيه الشرق [٧٨]، ويجد في النهضة والتطور الاوروبي انجازاً كبيراً للبشرية ويدعوا للاقتداء به والاخذ عنه ولا سيما في جوانبه المشرقة واسسه العلمية الراسخة التي بني عليها التطور والتقدم في مختلف جوانب الحياه ويرى ان الدول الأوروبية تخلصت من الاستبداد بفعل

مفكريها وعلمائها وانجزت ما انجزت بعد ان عرفت الحرية واقامت قواعد الديمقراطية، ويقول:" فهذه ام اوستريا (الإمبراطورية النمساوية) وامريكا قد هداها العلم لطرائق شتاء واصول راسخه للاتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الإداري[٧٩]. ومع ان الكواكبي قد قدره انجازات الغرب في مختلف الميادين العلمية والثقافية الا انه ادان الاستعمار بشده وهاجم السياسة الاستعمارية وما تقوم به في بلاد الشرق اذ يقول:" قد مضى على الهولنديين في الهند وجزائرها وعلى الروس في قازان مثلما اقمنا في الاندلس ولكن كانوا خدم العلم والعمران بعشر ما خدمناهما، ودخل الفرنساويون الجزائر منذ سبعين عاما ولم يسمحوا لأهلها بجريده واحده تقرأ ويقول عن الاستعمار الغربي مخاطبا الشرقيين انه يعرف كيف يسوس وكيف يتمتع وكيف يأسر، وكيف يتأثر وكيف يستأثر فمتى رأى فيكم استعداداً واندفاعاً لمجاراته او سبقه الضغط على عقولكم لتبقى وراءه شوطاً كبيراً كما يفعل الروس مع البالونين واليهود والتاتار، وكذلك شأن كل المستعمرين الغربي مهما مكث في الشرق لا يخرج عن انه تاجر مستمتع فيأخذ فسال الشرق يغرسها في بلده فيأخذ خصائل الشرق يغرسها في بلده فيأخذ فسائل الشرق يغرسها في بلده[٨٠]. ودعاً الدول الأوروبية الى الكف عن التدخل في شؤون الاقطار الشرقية دعونا وشاننا اننا نقرر شؤوننا بأنفسنا فمكنونا من العيش كما نريد[٨١].

لقد اظهر الكواكبي فكراً ناضجاً سبق عصره ولاسيما في الجدال الدائر حينها عن علاقة الشرق بالغرب وتشعب المواقف والافكار وتناقضها لقد أسقط في يد منافسيه ومناؤيه، ولم يقدروا على مجاراته في افكاره المتوثبه وآرائه الواقعية والمباشرة بل انه كان مطمح الطبقة المتعلمة ورجال الفكر والمثقفين الذين وجدوا في فكره وكلماته ما يجيب عن أسئلة كثيره خامرت عقولهم وكان استاذاً وملهما قل نظيره.

سبل التغيير وموقفه من الثورة

الاصلاح هو عمليه تغيير جزئي او شامل لأوضاع فاسده والتخلص من امراض فتاكه تنخر في جسد الامم والشعوب وتتباين اراء المفكرين في كيفية الاصلاح والتغيير المنشود بحسب منهج التفكير واستيعاب الظروف وتشخيص العلل ونجد ان الكاتب احمد امين يقارن بين جمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي من جانب نظره كل منهما لكيفيه التغيير والاصلاح فيقول كانت معالجه الافغاني للمسائل معالجه ثائر تخرج من فمه الاقوال نارا حاميه ومعالجه الكواكبي معالجه طبيب يفحص المرض في هدوء ويكتب الدواء في أناة. الافغاني غضوب والكواكبي مشفق الافغاني داع الى السيف والكواكبي داع الى المدرسة فلا عجب ان كان للأفغاني دوي المدافع وكان للكواكبي خرير الماء يعمل في بطء حتى يفتت الصخر[٨٢]. يرى الكواكبي ان السبيل الى القضاء

على الاستبداد واقامه الحكومة العادلة هو المقاومة باللين وبصورة تدريجيه وان السبيل الى ذلك هو نشر التعليم والدعوة الى الاصلاح اذ ان الوسيلة الوحيدة الفعالة لقطع دابر الاستبداد ان ترقي الامم في الادراك والاحساس وهذا لا يتاتى الا بالتعليم والتحميس ثم ان اقناع الفكر العام واذعانه الى غير مألوفة، لا يتأتى الا في زمن طويل[٨٣]. وهذا كما يبدو كلام يستبعد الدعوة والعمل للقيام بثوره، فالاستبداد كما يقول "لا ينبغي ان يقاوم بالعنف كي لا تكون فتنه تحصد الناس حصداً" وان كان لا يستبعد الثورة كليا فهي تصبح ضرورة حتمية عندما يبلغ الاستبداد من الشده تنفجر عندها الفتنه انفجارا طبيعياً.

ومن الواضح انه لا يحبذ الثورة اذ يصفها بالفتنة، فالمهم لدى الكواكبي ان تجرى قبل الإطاحة بالاستبداد تهيئه نظام أفضل محله، لهذا فهو يؤكد على ضرورة تعيين المطالب الواجب تنفيذها بحيث تحظى بتأييد اغلبية الامة،"لان معرفه الغاية شرط طبيعي للأقدام على كل عمل، كما ان معرفه الغاية لا تفيد إذا جهل الطريق الموصول اليها "[٨٤].ولا يستبعد امكانيه التفاهم مع المستبد ومن ثم انصياعه لمطالب الامه لاعتقاده ان الحاكم المستبد يتراجع امام القوة فيقول:"لو أبصر الطاغية في يدي المضطهد ينظر اليه سيف بتار لقرر اصلاح انعدام العدالة".

وفي هذا يرجع الى معرفته بتاريخ الامم ومواقفها من حكامها المستبدين فيقول: وكم اجبرت الامم بترقيها المستبد اللئيم على الترقي معها والانقلاب رغم طبعه الى وكيل امن يهاب الحساب ورئيس عادل يخشى الانتقام وحينئذ تنال الامه حياة رضية هنية رخاء ونماء حياة عز وسعادة[٨٥].

واذن كيف تحقق الامة ما تطمح اليه من تغيير؟ وما هي وسيلتها في وجه الاستبداد؟ يجد الكواكبي ان التنظيم بصيغة الجمعيات هو الحل الانجح اذ "ان الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمرا طويلا وربما لا يفي به عمر الواحد الفرد وهذا هو سر نشأة الامم الغربية وان للتطور الطبيعي دوره في احداث التغيير وهو سنة الحياة وان بطئ العمل للتغيير يعني ثباته ورسوخه فالدعوة المنتظمة الحية والمتواصلة كافية لتحقيق غايتها وهي اوفق من الوسائل الاخرى التي يعتمدها بعض الزعماء لقلب الحكومات واقامة النظم الجديدة وبهذا "فأن كل امر كليا كان او جزئيا لا يحصل الا بالقوة وزمان متناسبين مع اهميته وان كل امر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل يكون احكم وارسخ واطول عمراً مما اذا حصل بمزيد من القوة في زمان قصير وكلنا يعلم ان مسألتنا اعظم من ان يفي بها عمر انسان لا ينقطع او مسلك سلطان لا يطرد او قوة عصبية حضرية حمقاء تفور سريعا وتغور سريعا "[٨٦].

الا اننا نجد احيانا ينزع الى طرح اراء ثورية في مواجهة شدة الاستبداد وبطش المستبد مثل" الحرية هي شجرة الخلد وسقياها هي قطرات من الدم الاحمر المسفوح "[٨٧]. اذ ان "القوة لا تقابل الا بالقوة"[٨٨]، وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا ان الثورة التي سعى لها الكواكبي وتصورها هي غير التمرد التلقائي الاهوج الذي تأتي به شدة المعاناة والكبت ويصبح رد فعل غير مدروس ولا تسبقه استعدادات كافية او تخطيط معد فينطلق كالعاصفة الهوجاء لا يبقى ولا يذر سوى الخراب والدمار فهو لا يرفض مبدأ (الثورة) بقدر ما يخشى فوضى النتائج.

لقد قال عنه صديقه وزميله ابراهيم سليم النجار واصفا اياه بأنه" كان في الحقيقة ثوريا بروحه وميوله وكثيرا ما كان يقول لي لو ملكت جيشا لقلبت حكومة عبد الحميد في أربع وعشرين ساعة"[٨٩].

وقد صدق حدسه في بضع سنين لذ سقطت حكومة عبد الحميد الثاني بانقلاب عسكري في يوم ٢٣ تموز عام ١٩٠٨ ولم تمض أربع وعشرون ساعة على بداية الانقلاب حتى أعلن السلطان رضوخه لمطالب قادة الانقلاب ولم يعد يملك من امره شيئاً.

وفاته

أدركت الوفاة عبد الرحمن الكواكبي فجأة في مساء يوم ١٤ حزيران ١٩٠٢ وشيعت القاهرة جنازته في موكب مهيب حضره مندوب عن الخديوي ويومها كتب الناس في مصر على قبر الكواكبي كلمة (الشهيد) ورثاه شاعر النيل حافظ ابراهيم بأبيات دونت على قبره يقول[٩٠]:

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم هنا خير كاتب

قفوا واقرؤا ام الكتاب وسلموا عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

الخاتمة:

كان الكواكبي معروفا بالصراحة والاستقامة وجرت عليه مواقفه المناوئة لاستبداد الولاة والدولة عداء المسؤولين الاتراك.

يتلخص الاصلاح الديني عند الكواكبي في تحرير الاسلام من الجمود والخرافة، وعلاجها ان يسترجع الدين بساطته الاولى التي كان عليها في صدر الاسلام ومن واجب المسلمين في كل زمن ان يفهموا دينهم وان يعرفوا حكمه فرائضهم وعقائدهم وان الجمود والخرافة لا محل لهما بين اتباع دين متسم بالبساطة والوضوح يأخذه خاصتهم وعامتهم مأخذ الفهم والبينة على حسب عقولهم ومصالحهم.

ويرى ان الاستبداد صفه للحكومة المطلقة التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية من حساب او عقاب وان اشد مراتب الاستبداد التي يعوذ بها من الشيطان هي حكومة الفرد المطلق الوارث العرش القائد الجيش الحائز على سلطة دينية كما وبحسب معرفته بالتاريخ فأنه مأمن حكومة عادلة تأمن المسؤولية والحساب الا وتنزع نحو الاستبداد.

لذا شن في مقالاته وكتبه ولا سيما في كتابه طبائع الاستبداد حملة على الفساد والظلم والاضطهاد ودعاً الى مقاومة الاستبداد وكان يرى ان التعليم أهم من الثورة وانه الوسيلة المثلى للتخلص من الاستبداد الديني والمستبد السياسي ديدنه اتخاذ صفه قدسيه من صفات الله ويتخذ بطانه من رجال الدين يعيونه في ظلم الناس باسم الله وكل هذا مناف لجوهر الاسلام الحقيقي القائم على الحرية السياسية الا ان زحف عليه من الفساد ما زحف من كل الاديان من فرق المسلمين وجعلهم شيعاً وأحزابا وحول نظام الحكم من الشورى الى الاستبداد ويرى ان السبيل في القضاء على الاستبداد وأقامة الحكومة العادلة هو المقاومة باللين وبصوره تدريجيه وان الوسيلة الى ذلك هي نشر التعليم والدعوة الى الاصلاح ومن الواضح انه لا يحبذ الثورة اذ يصفها بالفتنة فالمهم لدى الكواكبي ان تجري قبل الإطاحة تهينه نظام افضل محلة لهذا فهو يؤكد على ضرورة تعيين المطالب الواجب تنفيذها بحيث يحضى بتأييد أغلبية الامة فهو يؤمن بأن التربية عملية اجتماعية تلعب فيها الظروف المحيطة والملابسات التي تكتنف حياه الشباب دوراً حاسما وأساسيا سواء في تقدمها او في إعاقتها عن بلوغ الأهداف.

اما عن التربية المدرسية فيرى أنه عمل يتصدى له خبراؤه المختصون عن طريق الإشراف على إدارة المدارس وأعداد مناهج التعليم وتهيئة المعلمين وتنظيم عملهم، فضلاً عن تقسيم مراحل التدريس في المعاهد مع مراعاة اوقات التكملة والانتهاء، على حسب الحاجة المتجددة الى كل صنف من أصناف الدراسات.

يدعو الكواكبي الى تعليم المرأة ويعدها الاساس لتربية الامة ونهوضها ويكثر الحث في كلامه على تصحيح وظيفة المرأة في الحياة والتحذير من جهلها وسوء تربيتها ويجد في نظامنا التربوي مقتلاً دامياً في موقف المجتمع من قضية المرأة وتعليمها وهو من أنصار المساواة والعدالة الاجتماعية.

ويرى ان هناك صلة وثيقة بين الاستبداد السياسي والحالة الاقتصادي وتتحقق العدالة الاجتماعية في رأيهُ بالرجوع الى أحكام الإسلام وما اورده في هذا الجانب كالزكاة وملكية الأرض وما أشبه ويرى ان التفاوت في الثروة دعامة من اقوى دعائم الاستبداد لأنه يسمح لأصحاب النفوذ الديني او الدنيوي-وهم لا يزيدون على خمسة في المائة من السكان-بأن يستأثروا لا

نفسهم بنحو نصف الثروة العامة وكان الكواكبي يؤمن أيمانا عميقا بأن العمل الإنساني هو اشرف شيء يمكن ان يتحلى به الانسان بل لقد رآه معيار انسانية الانسان فقد ذكر ان البشرية هي العلم وان القضاء والقدر هما السعي والعمل.

اتاحت المعرفة والاطلاع الواسع على اوضاع اوروبا وتطورها الحضاري فهما عميقا ووعيا قل ان تيسر لاحد من المفكرين الذين عاصروا. ولأجل الالمام بعوامل الاصلاح ومن ثم النهضة، نجد الكواكبي يقارن بين اوضاع اوروبا واحوالها وما يقابلها من اوضاع في بلاد الشرق ويهاجم فئه المتعلمين الذين جذبهم بريق الحضارة الأوروبية وضعوه في مادياتها فهذه الفئه اخذت بالقشور من العلم الحديث وقل نصيبها من معرفه الدين واستهواها حب التشبه بالأقوياء الظافرين وخلبتها فتنه الحضارة وزخرف الحياه المادية فتحللت من اواصر دينها وهان عليها امر العقيدة وامر الوطن فلم يبقى لها من الغيرة الدينية ولا من النخوة القومية غير المظهر والعنوان ويجد في النهضة والتطور الاوروبي انجازا كبيرا للبشرية ويدعو للاقتداء به والاخذ عنه ولاسيما في جوانبه المشرقة واسسه العلمية الراسخة التي بني عليها التطور والتقدم في مختلف جوانب الحياه.

الهوامش:

(١) وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعيةللحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بغداد، ١٩٨٥، ص ٦٨-٦٩.

(٢) محمد عمارة، دراسات الوعي بالتاريخ، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨١، ص ١٦٥.

(٣) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٤) صادق جلال العظم، الإسلام والنزعة الإنسانية العلمانية، ترجمة فالح عبد الجبار، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد ٢٠٠٧، ص٩-١٠.

(٥) ماهر الشريف، رهانات النهضة في الفكر العربي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق،٢٠٠٠، ص١٩-٢٠.

(٦) عبد الغني عماد، السلفية وإشكالية الآخر بين المفاصلة والمفاضلة، بحث منشور في مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢٤، بيروت، شباط٢٠٠٦، ص٦٢.

(٧) نبيه بيومي عبد الله، تطور فكرة القومية العربية في مصر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٥، ص١٣-١٤.

(٨) سيار كوكب علي الجميل، تكوين العرب الحديث،١٥١٦-١٩١٦، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل،١٩٩١، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٩) المصدر نفسه، ص٤٣؛ جورج انطونيوس، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملاين، ط٢، بيروت،١٩٦٦، ص١٣٦.

(١٠) غالي شكري، عروبة مصر وامتحان التاريخ، دار العودة، بيروت،١٩٧٤، ص١٣٩.

(١١) نعمان عاشور، صور من البطولة والابطال، مذاهب وشخصيات، القاهرة، (د.ت)، ص٩٢-٩٤.
(١٢) محمد عمارة، العرب يستيقظون٢، العروبة في العصر الحديث/ دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٤، ص٢٣١.
(١٣) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٦-١٧.
(١٤) المصدر نفسه، ص ١٢.
(١٥) عباس محمود العقاد، الرحلة "كاف" عبد الرحمن الكواكبي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، القاهرة ،١٩٥٩، ص١٧
(١٦) المصدر نفسه، ص٤٢
(١٧) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص٢١-٢٤.
(١٨) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص٤٣-٤٤.
(١٩) إبراهيم خليل العلاف،تاريخ الفكر القومي العربي،دار الشؤون الثقافية، بغداد،٢٠٠١، ص١١٣.
(٢٠) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص٢٦-٢٧.
(٢١) ديفد دين كومنر، الإصلاح الإسلامي، السياسة والتغيير الاجتماعي في سوريا أواخر العهد العثماني، ترجمة مجيد الراضي، دار الدى للثقافة والنشر، دمشق،١٩٩٩، ص١٩٦-١٩٧.
(٢٢) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ٢٨.
(٢٣) إبراهيم خليل العلاف، المصدر السابق، ص١١٣.
(٢٤) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ٢٩.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ٣٢.
(٢٦) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ١١٦.
(٢٧) المصدر نفسه، ص ١١٦.
(٢٨) عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠٠٤، ص ٨٢.
(٢٩) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ١٢١.
(٣٠) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ٨٣.
(٣١) مقتبس في محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ١٢٥ – ١٢٦.
(٣٢) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص٨٦.
(٣٣) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ١١٨.
(٣٤) المصدر نفسه، ص١١٨.
(٣٥) المصدر نفسه، ص١٢٢.
(٣٦) المصدر نفسه، ص٨١.
(٣٧) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص٣٦.
(٣٨) المصدرنفسه، ص٢٧.
(٣٩) المصدر نفسه، ص٢٦-٢٧.
(٤٠) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ى٤٤ -٤٥.
(٤١) خليل إبراهيم العلاف، المصدر السابق، ١١٦.
(٤٢) مقتبس في: عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ١٧١.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٣١-١٣٦.
(٤٤) المصدر نفسه، ص١٤٢.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٤٤.
(٤٦) عبد الزهرة مكطوف الجوراني، الفكر السياسي في المشرق العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٥٣.
(٤٧) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ٦٤.
(٤٨) مقتبس في: المصدر نفسه، ص٤٣.
(٤٩) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ٨٠.
(٥٠) المصدر نفسه، ص ١٥٥.
(٥١) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٦.
(٥٢) المصدر نفسه، ص ٨٩.
(٥٣) احمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٩٨-٢٩٩.
(٥٤) مقتبس في: محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ١٥٨.
(٥٥) مقتبس في: عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص١٥٩.
(٥٦) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ١٣٢-١٣٥.
(٥٧) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧.
(٥٨) المصدر نفسه، ص٩٤.
(٥٩) مقتبس في: عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ١٦٥.
(٦٠) المصدر نفسه، ص١٥٦-١٥٧.
(٦١) مقتبس في: محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص١٣٦-١٣٨.
(٦٢) عبد الزهرة الجوراني، المصدر السابق، ص ١٥٤.
(٦٣) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص٦٣.
(٦٤) عبد الزهرة الجوراني، المصدر السابق، ص ١٥٣.
(٦٥) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ٦٥.
(٦٦) احمد امين، المصدر السابق، ص ٢٨٠-٢٨١.
(٦٧) مقتبس في: محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ٩٩-١٠٠.
(٦٨) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ٦٧.
(٦٩) احمد امين، المصدر السابق، ص ٢٨١.
(٧٠) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص١٥٣.
(٧١) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ١٠٤.
(٧٢) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص٧٢.
(٧٣) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص١٢٣.
(٧٤) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ٨١.
(٧٥) المصدر نفسه، ص ١٠٩-١١٠.
(٧٦) عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ١٢٤،١٣١.
(٧٧) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص٩٨.

(٧٨) المصدر نفسه، ص٨٢.
(٧٩) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص ١٠٦.
(٨٠) المصدر نفسه، ص١٠٧.
(٨١) عبد الزهرة الجوراني، المصدر السابق، ص ١٥٤.
(٨٢) احمد امين، المصدر السابق، ص٣٠٠.
(٨٣) عبد الرحمن الكواكبي، المصدر السابق، ص١٢٧.
(٨٤) المصدر نفسه، ص١٢٩-١٣٠.
(٨٥) المصدر نفسه، ص ٤٥.
(٨٦) مقتبس في: عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص١٧٤.
(٨٧) عبد الرحمن الكواكبي المصدر السابق ص١٠٤
(٨٨) المصدر نفسه، ص١١٩.
(٨٩) محمد عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص ١٦٩-١٧٠.
(٩٠) محمد عمارة المصدر السابق، ص ٤٢.

The concept of renaissance and reform at Abdul Rahman Al-Kawakibi

L.D. Abdul Salam Meteab Idan

Abstract:

The research deals with the ideas and opinions of the great reformer Abd al-Rahman Ahmad Baha'i Muhammad Masoud al-Kawakibi (1271 AH / 1855 - 1320 AH / 1902 AD), one of the pioneers and thinkers of the Arab Renaissance in the nineteenth century, and one of the founders of Arab nationalist thought, best known for the book "Natures of Tyranny and Wrestling of Slavery", which It is considered one of the most important Arab books in the nineteenth century that discuss the phenomenon of political tyranny, and the research reviews with a new vision a collection of the most important ideas and reforms proposed by Al-Kawakibi that returned to the Islamic and Arab nation with positive returns that helped them in the revival and the achievement of complete and complete independence in the future.